التأويل 9

ما نتج عن تأسيس المسلمين لعالمية المعرفة

ووحدة الجنس البشري

تمهيد

حظيت "**نظرية إعجاز القرآن**" عندما ظهرت لأول مرة كمفهوم في القرن الثالث الهجري بعناية خاصة من طرف فرقة المعتزلة.

ولئن اتفقت آراؤهم جميعاً في كون القرآن معجزاً ولا مراء، من خلال نصوصه المحكمة المتحدية للثقلين معا: جنهم وإنسهم أن يأتوا بمثله أو فقط بسورة على شاكلته {سورة يونس، الآية 88}:

{قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا}

إلا أنهم اختلفوا وتباينت وجهات نظرهم في تحديد المناحي التي تنصرف إليها وجوه ذلك الإعجاز بالذات.

وأول من نعرف عنه أنه خاض في موضوع الإعجاز من بين المعتزلة: أبو عثمان **عمرو بن بحر الجاحظ** (ت: 255 هـ).

كان الجاحظ رأس الفرقة التي عرفت باسمه "الجاحظية" من المعتزلة. وقد عاصر محنة "**خلق القرآن**" التي قال بها فريقه والتي كانوا أخذوها رأساً عن فيلون الاسكندري اليهودي المعاصر للمسيح عليه

السلام، دون أن يفصحوا عن مصدرهم هذا! (أنظر تفصيل ذلك في القسم الانجليزي من موقعنا هذا في إجابة نتاليا (Reply to Natalia part 3).

وقد عرف عن الجاحظ، نهمه المعرفي وولعه بقراءة كل ما يقع بين يديه من كتب ومنها ما ترجم من معارف اليونان وفارس والهند إلى عهده.

ونستشف ذلك النهم المخضرم من قوله[1]:

{قيل للفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفصل من الوصل.
وقل لليوناني: ما البلاغة؟ فقال: تصحيح الأقسام واختيار الكلام.
وقيل للرومي: ما البلاغة؟ فقال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغزارة يوم الإطالة.
وقيل للهندي: ما البلاغة؟ قال: وضوح الدلالة وانتهاز الفرصة وحسن الإشارة}.

هذا، مع علمنا بأن المعارف اللغوية لهذه الأمم لم تكن من مقاصد الترجمة العربية لا في عهد الجاحظ نفسه ولا في عهود الأجيال اللاحقة عنه. لذلك ظلت معارف العرب منها شحيحة وضحلة الغور، ولم تتطور قط إلى فقهلغويات مقارنة، لكلفهم باللغة العربية، لغة القرآن واستغنائهم عما سواها.

والظاهر أن الجاحظ لم يتعرف على "كتاب الخطابة" لأرسطو (384 – 322 ق.م) ، لأن حنين ابن إسحاق (298 هـ) لم يكن قد ترجم الكتاب إلى العربية بعد!. ويغلب على الظن أن ما انحدر إلى الجاحظ من المعارف اللغوية للأمم السابقة عن الإسلام، وفي هذا الوقت المبكر، إنما كانت عن طريق كتاب الدواوين.

يقول الجاحظ عن هؤلاء:

{أما أنا فلم أر قوماً قط امثل طريقة في البلاغة من الكتاب، فإنهم قد التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوعراً وحشياً ولا ساقطاً سوقياً}[2]

قلت:

[1] الجاحظ في: "البيان والتبيين" (1: 49)، الطابع العلمية 1311 هـ/1893 م
[2] "البيان والتبيين (1: 76).

وقد كان جل الكتّاب إلى هذه الحقبة التاريخية أعاجم ومتأثرين بشكل كبير بالآداب اليونانية المتلونة باللون

الهيلينيستي الذي تطور على يدي إغريق الإسكندرية بعد فتوحات الإسكندر المقدوني (356 ق.م – 322 ق.م) للشرق. وتلبن الخريطة المصاحبة سعة أإمبراطوريته التي ورثها عن الفرس والتي ستتأثر بدرجات مختلفة بالثقافة الهلينيستية.

ومن هنا فتأثر المعتزلة بشذرات من هذا الفكر الذي عم المنطقة كخلفية تراثية، وارد هنا، وإن كانت الدروب أو الطرق السيارة التي سلكها الأخذ لم يبحث فيها أحد بتفصيل، فيما أعلم، كي نتبين بوضوح خيوط الإحالات المنشئية لتاريخ مثل هذه الأفكار، خصوصاً، عندما نلاحظ الفارق البرزخي والمفهومي بين شكل البيان الذي تطور على أيدي متكلمة المعتزلة المخضرمين، وبين البيان العربي الصافي كما نجد أنموذجه الأبرز والأمثل عند أبي محمد بن سلاّم بن عبيد الله الجمحي (150 هـ - 232 هـ) مثلاً .

لكن يستشف من كلام أبي الحسن علي بن الحسين ، الشهير بلقب المسعودي (ت:

345ه/956 م) الذي كانت له محاورات مع الفيلسوف والمؤرخ واللاهوتي السرياني النصراني أبي زكريا دنحا (ت: حوالي 313ه/925 م)[3] أن قال في حقه:

"ورأيت له كتابا في ذكر ملوك الروم واليونانيين، وفلاسفتهم ، وسيرهم ، وأخبارهم"[4]

أن السريان مثلوا ولا شك أحد تلك الدروب المسلوكة، خصوصاً إذا ما علمنا بأنه كان لأبي زكريا أخ يعرف بإبراهيم بن عدي الكاتب.

[3] المسعودي: كتاب: التنبيه والأشراف"، طبعة ليدن لسنة 1891، ص. 155.
[4] نفس المرجع ص. 156.

وقد قرأ إبراهيم الكاتب هذا على الشيخ أبي نصر محمد الفارابي 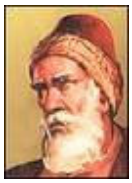 (260هـ/874 م - 339هـ/950 م)[5] في حلب وصار من أخص خواصه ومدون تصانيفه.

وكان الفارابي نفسه قد درس على النصراني أبي بشر متى بن يونس القنائي (ت: 328هـ/940 م)[6] في بغداد ، ثم "ارتحل إلى مدينة حران، وأخذ عن يوحنا بن حيلان[7] الفيلسوف النصراني طرفًا من المنطق، قبل أن يقفل راجعا إلى بغداد . ليقرأ بها علوم الفلسفة.

وقد تناول جميع كتب أرسطو (384 ق.م – 322 ق.م) وتفوق في استخراج معانيها، حتى لقب ب "المعلم الثاني" (حيث المعلم الأول هو أرسطو نفسه).

قلت:

والظاهر أن الأخوين: يحيى وإبراهيم ابني عدي لم يكونا على مذهب فلسفي واحد. فقد ذكر جمال الدين القفطي (ت: 646هـ/1248 م) ، في "تاريخ الحكماء"، مقالتين ليحيى بن عدي، يرد فيهما على أخيه إبراهيم، وعنوان إحداهما:

"مقالة بينه وبين إبراهيم بن عدي الكاتب ، ومناقضته في أن الجسم جوهر وعرض"

ف "الجوهر" و"العرض" الأرسطيان اللذان سيشغلان متفلسفة الإسلام كانا هنا ومنذ الفارابي.

لكن، وفي حين كان الجاحظ المخضرم يحدد **وجه الإعجاز** في القران الكريم في "إيجاز العبارة"، مستعملاً للفظة "العبارة" قبل أن يقوم الفارابي بشرح كتاب "العبارة لأرسطوطاليس على جهة التعليق" بدهر، فإن

---

[5] أبو نصر محمد بن محمد بن أوزلغ بن طرخان، مدينته فاراب، وهي مدينة من بلاد الترك في أرض خراسان، وكان أبوه قائد جيش، وهو فارسي المنتسب، وكان ببغداد مدة ثم انتقل إلى الشام وأقام بها إلى حين وفاته.

[6] وهو ناقل الكثير من تصانيف أرسطوطاليس ، وثامسطيوس ، والإسكندر الأفروديسي . وشارحها ، وعلى شروحه عول الناس في القراءة ، وإليه انتهت رئاسة المنطقيين في عصره {أنظر: الفهرست لابن النديم ص. 368 – 369}. وعندما توفي أبو بشر انتهت الرئاسة إلى أبي زكريا يحيى بن عدي.

[7] وقال القاضي صاعد بن أحمد بن صاعد في كتاب "التعريف بطبقات الأمم" إن الفارابي أخذ صناعة المنطق عن يوحنا بن حيلان المتوفي بمدينة السلام في أيام المقتدر العباسي {جعفر بن أحمد (ت: 320 هـ)}.

معتزلياً آخر وهو: **أبو عبد الله، محمد بن زيد بن علي بن الحسين الواسطي** (ت: 307 هـــ) جعـل وجه الإعجاز في "**النّظْم**"، بينما سيذهب المعتزلي: **أبو الحسن، علي بن عيسى بن علي الرماني المفسر النحوي** (296 هـ - 383 هـ) إلى جعله في "**البديع**".

وقد سبق الفارابي إلى تأليف كتاب: "شرح كتاب الخطابة لأرسطوطاليس"، قبل أن يحذو حـذوه المتفلسف الآخر المحسوب على الإسلام: **الحسين بن عبد الله: ابن سينا** (ت: 428 هـ) مع بدايـة القـرن الخامس الهجري بترجمة كتابي "**الخطابة**" و"**الشعر**" لأرسطو، إلا أنهما لن يحظيا معاً بكبير عناية أو اهتمام من طرف اللغويين وظلا شبه مجهولين، اللهم ما كان من عناية بعض الخواص بذلك، ومـن أبـرزهم المعتزلـة، لحاجتهم إليه في جدال المسيحيين، الذين كانوا يتعالمون على المسلمين بمثل هذه الشقشقات، التي كان قد جوبه بها آباء الكنيسة من طرف الفلاسفة من قبل!

وقد استمر الأمر على هذه الحال، والمعتزلة يحتكرون مجال "**التأويل**" لنصرة مذهبهم، بتأويلات بعيدة لا تحتملها اللغة، محتجين لذلك بتخريجاتهم البلاغية، التي كانت لا تتحرج بتاتاً في لَيّ عنق البلاغة لتتجه وجهـة المذهب حيث دار أو استدار!، إلى أن ظهر المـتكلم الأشـعري: **القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن القاسم، المعروف بالباقلاني** (338 هـ - 403 هـ) وألف كتابه: "**إعجاز القرآن**" ليبدأ الأشـاعرة فـي مزاحمة المعتزلة في هذا الميدان، مستعيرين منهم أساليبهم.

وقد سلك هذا المسلك أيضاً متكلمو الجعفرية الإحدى عشرية المعاصرين للباقلاني:

أ) أبو القاسم، علي بن الحسين بن موسى، الشهير باسمك الشريف المُرتَضَى (355 هـــ - 436 هـــ)،

ب) و أخوه أبو الحسن، محمد بن الحسين الرضى (ت: 406 هـــ) الذين ينسب إلى أحدهما جمـــع ما نُسِب! إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ت: 40 هـــ) كرم الله وجهه من بلاغة في الكتاب المفتـــرى عليه: "نهج البلاغة ومشرع الفصاحة"!

قلت:

ولا يشك من أوتي مسكة من عقل في تزوير وافتراء هذا الكتاب، لما فيـــه مـــن تكلـــف الأسجاع والصناعة البلاغية، التي كانت تطبع عصر الأخوين الجعفريين، أكثر مما هي مرآة لما هو منتظر في عهد الخليفة الرابع رضي الله عنه![8].

لكن، لم يمر نصف قرن على ترجمة ابن سينا لكتاب "العبارة" لأرسطو حتى ألف عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني النحوي (ت: 471 هـــ) وهو أشعري، كتابيه: "أسرار البلاغة في علم البيان" و"دلائل الإعجاز"، ليظهر جلياً أنه اطلع بدون شك على الفصل الأول الذي عقده ابن سينا ل"العبارة" عند أرسطو! حيث وجدنا عبد القاهر يقسم المجاز إلى نوعين:

أ) "مجاز لغوي"

ب) و "مجاز عقلي"،

ويقسم المجاز اللغوي إلى قسمين:

أ) الأول مداره على التشبيه،

[8] قال الذهبي في ميزان الاعتدال (3: 5827/124)، ط. 1382 هـ/1962 م، دار المعرفة بعناية علي محمد البجاوي: {ومن طالع كتابه "نهج البلاغة" جزم بأنه مكذوب على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، ففيه من السب الصُّراح والحطُّ على السيدين: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وفيه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات التي من له معرفة بنفس القرشيين الصحابة وبنفس غيرهم ممن بعدهم من المتأخرين، جزم بأن الكتاب أكثره باطل}

ب) والثاني ما كان من استعمال أي **لفظ** مكان **لفظ آخر** لصلة بينهما.

ولا يخفى أن الصلة بين مجاز **عبد القاهر** ومجاز **أرسطو** صلة وثيقة، حيث أن مجاز أرسطو يجيز إطلاق:

1) **اسم الجنس على النوع**،
2) **واسم النوع على الجنس**،
3) **واسم النوع على نوع آخر**.

وهو ما نجده عند عبد القاهر باسم: "**المجاز المرسل**"، كما نجد أن المجاز الذي يسميه أرسطو "**صورة**"، يدخله عبد القاهر ضمن "**الاستعارة**".

و"الاستعارة" مجاز كان يطلقه الإغريق على المجاز بكل أنواعه وأشكاله.

قلت:

وقد عالج الهنود المجاز أيضاً في تراثهم اللغوي في **القواعد السنسكريتية** كما حفظها لغويهم الشهير **بانيني** (Panini) في كتابه: "**اصطاد هيايي**" (Astãdhyãyì)

، الذي يُرجح أنه ألف ما بين 600 أو 300 ق.م، حيث عالج الاستعمال المجازي "لاكسانا" (Laksanã).

ولئن كان بانيني يعد لدى اللاحقين عنه السلطةَ العليا في كُلّ ما له تعلق ب "القواعدية" في السنسكريتيةِ، إلا أنه يذكر هو نفسه بالأسم، على الأقل عشَر مِنْ أسلافِه، الذين لم يعثر على أعمالِهم لحد الآن.

وقد حاول النحويون الذين جاءوا بعد بانيني تَرْجَمَة الإستعمالاتِ المُخْتَلِفةِ في اللغةِ السنسكريتيةِ، مع جعل بانيني محكمة الإستئناف النهائية في الموضوع.

ينقسم التقليد القواعدي السنسكريتي إلى ثلاثة أصنافِ:

1) ما قبل البانيني،

2) البانيني،
3) وما يعد بانيني. وينقسم ها الأخير بدوره إلى صنفين،
   أ) الأول مقلد لبانيني
   ب) والثاني منحرف عنه.[9]

ويَعتقدُ البانينيون بأنّ اللغةِ والمعنى والوعي هي ببساطة ثلاثة أشياء في واحد، ولا يُمْكن بالتالي التفريق بين أحدها والأخريين. لهذا نجدهم يذهبون إلى القول بأن: العلاقةِ بين اللغةِ والمعنى هي بمثابة "الهوية" على مستوى الفكر. ويعتبرون أن التعرف على الأفعال هي بمثابة الإدراكِ الذي تحدثه اللغة.

وبما أن البانينين لا يعتبرون أيّة كلمة ما عَدا في جملة، فهم لا ينزعَجون بالسؤال:
كَيفَ الوصول إلى جملة ذات معنى ؟

ويرى "البهاتا ((Bhattas)) من بينهم: أن الشخص يَفْهمُ معنى الجملة من خلال الإشارةِ (laksana) بينما يرى فريق "النايايكا" (Naiyayikas) بوجوب الاستناد إما على قصد المتكلم: "التاتباريا" (tatparya) أو "السامسارجاماريادا" (samsargamaryada) كوسيلتين محتملتين لفَهْم معنى الجملة.

ويذهب فريق "الفياكارانا" (Vaiyakaranas) إلى القول بأن معنى الفعل، الذي يَلْعبُ دورَ العامل التوحيدي في فهم المعنى الإجمالي للجملة، يجب أن ينظر إليه كعنصرَ رئيس في بنية الجملة، بينما يَذهب فريق "الميمامساكا" (Mimamsakas) إلى القول بأن عنصر العملية "الفيابارا" (vyapara) أو "لبهافانا" (bhavana) التي تتحصل مِن قِبل لاحقة بفعل يتْكلمُ على معاني الكلمةِ الأخرى. ويقر فريق: "النايايكا"، على أية حال، بسيادةِ الكلمة مَع حالة أولى مُنْتَهية في جملة وبمعناها في فهم الجملةِ[10].

---

[9] أنظر: إيفيند كاهرز في:
Eivind Kahrs, 1998; *Indian Semantic Analysis: The Nirvacana Tradition, University of Cambridge Oriental Publication, Vol. Cambridge University Press,*

[10] أنظر: ريتا بهاتاكاريت (Reeta Bhattacharya) في بحث تحت عنوان:

Philosophical Development Of The Verbal Cognition Through The Ages In Ancient India, in; "THE CLASSICAL TRADITION IN SANSKRIT LANGUAGE, LITERATURE AND INDIAN PHILOSOPHY", International Convention of Asia Scholars, n^{0}181.

قلت:

وكان المناطقة الهنود قد ثار بينهم الجدل كما حصل مع المناطقة الإغريق ثم المسلمين المتأثرين بتراثهم من فلاسفة ومتكلمين أصوليين، حول:

ما إذا كانت الكلمات في الأصل تشير إلى أشياء مفردة أم أنواع أم إلى عموميات مجردة، وإلى أي مدى تكون معاني الكلمات إيجابية في تحديد هوية الشيء الذي وضعت له أم سلبية في تمييزه عن بقية الوقائع، كما أدركوا مثلاً أن كلمة "نار" يمكن أن تمثل نفسها وأن تمثل أيضاً معناها الأساسي[11].

وهكذا تطورت لدى الهنود كما تطورت لدى الإغريق ذات المفاهيم أثناء معالجتهما لآدابهما الشعري أو بحثهما الفلسفي، دون أن يكون قد حصل بينهما اتصال مباشر في الظاهر!.

و لم يؤثر عن المسلمين أخذهم من الهنود شيئاً من آدابهم ولا فلسفتهم لبعد الشقة بين الاثنين، وإن كانوا معاً طوروا صوتيات، لم يصلها الغرب سوى في العصر الحديث.

قلت:

ويشفع لعبد القاهر أن هذه الاستعارة من الإغريق هي فعلاً ما يمكن أن نَدخله ضمن استعارات التثاقف المفيد في مجال تشترك فيه جميع اللغات.

فالمسلمون، حين استحدثوا في اللغة العربية علوماً جديدة كل الجدة، لا يؤاخذون بكونهم نقلوا إجرائيات أو تأثروا بمناهج استعاروها من الحضارات السابقة وأقاموا علومهم على نمطيتها.

وهذا ما سيعبر عنه كراوثر خير تعبير بقوله[12]:

---

[11] **أنظر: روبنز، ر.، هـ.(Robins r., H.)، : "موجز تاريخ اللغة في الغرب"، ص. 230.**

[12] كراوثر، ج.ج.: "قصة العلم" ترجمة يمنى طريف الخولي وبدوي عبد الفتاح، ص. 57. مصر.

{كان من الطبيعي بعد أن اطمأنوا (المسلمون) إلى قوتهم العسكرية ومعتقداتهم الإيمانية أن يتجهوا لتشييد المدن الرائعة ودراسة ثقافة الحضارات التي دانت لهـــم. وكان العرب المسلمون أمة جديدة بلا تراث علمي سابق، فقرأوا التراث الفكري للقدماء بعقول متفتِّحة بلا خلفيات تعوقهم. ولذلك وقفت الثقافات الإغريقية واللاتينية والهندية والصينية جميعاً بالنسبة لهم على قدم المساواة. وكان من نتائج هذه العقلية المتعطشة للمعرفة عند المسلمين أنهم أصبحوا بالفعل المؤسسين الحقيقيين لمفهوم العالمية في المعرفة أو وحدة المعرفة الإنسانية. وهي إحدى السمات البالغة الأهمية بالنسبة للعلم الحديث}

وقد اتصف بالعالمية كلٌّ من:

أ) **علي بن الحسين المسعودي البغدادي** **(ت: 346 هـــ)،**

ب) **وأبي الريحان البيروني** **(ت: 440 هـــ)،**

ت) **والشريف محمد بن محمد الإدريسي الصقلي** **(ت: 560 هـــ)،**

ث) **ومحمد بن عبد الله بن بطوطة المغربي** **(ت: 779 هـــ)،..وغيرهم بامتياز.**

وقد اقتبس عبد القاهر الجرجاني من اليونان بعض الآليات الإجرائية العامة المشتركة بين كل اللغات.

ويحسب لصالحه أنه لم يكن قي عمله الضخم هذا، سواء في أمثلته أو في تطبيقاته، كلاًّ أو عالة فيمـــا ذهب إليه بخصوص بلاغة اللغة العربية على اليونان بحال.

بل لا يمكن أن نتصور فيما أودعه الجرجاني كتابيه: "**أسرار البلاغة**" و "**دلائل الإعجاز**"، وجهاً مـــن وجوه الفصاحة المرتبطة باللغة اليونانية بحال، سواء على صعيد الأمثلة أو على صعيد التطبيق.

وشتان الفرق بين إنجاز عبد القاهر وأضرابه من الفطاحل الأول، وبين شقشقيات المعاصرين المتهرئـــة من شاكلة ما ذاع وشاع من استعمالاتها من طرف طه حسين (1889 - 1973) وجيله المغتربين مثلاً[13].

فالعيب:

لم يكمن في اقتباس آليات التحليل إن كانت فعلاً منتجة ومنضبطة ومحايدة عقائدياً،

لأن هذه يمكن تبيئتها تلقائياً، دون حجر، وإنما العيب كمن في اقتباس ما لا يقتبس، مما لا يتماشى مـــع خصوصيات اللغة الأصل أو الهدف.

ف "الفعل" فعل، و"الإسم" إسم، و"المجاز" مجاز،...، في اللغة العربية وغيرها. **بينما مفهوم "التأويل" كمصطلح بين اللغتين تفصل بينهما مفاوز لا تقطعها المطي بحال!**

وقد جاء الخطأ، على ما أسلفنا، من كون المترجمين الأول للتراثية الأممية إلى العربية، كانوا نصارى أو صابئة، لا هم ضليعون في مواضعات اللغة التي ينقلون عنها ولا هم ملمون بالوعاء العقدي للمسلمين.

ولم يكن هناك حرج في ترجمة العلوم، التي كانت إلى تلك الفترة، تستظل كلها بمظلة شجرة "**الفلسفة**" ك "**أم**" لكل العلوم ومنها: علوم الطبيعة، والأحياء، والهيأة، والفلك، والرياضيات، والهندسة، والجغرافيا،..إلخ. فهذه علوم تسخيرية نافعة وعملية بحتة، حتى وإن لم تسلم بدورها من التفسيرات العقائدية.

---

[13] أنظر أطروحته في التصدير الذي كتبه بعنوان: "التمهيد في البيان العربي من الجاحظ إلى عبد القاهر"في كتاب "نقد النثر" لأبي الفرج: قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي (ت: 310 أو 320 هـ)، ص. 1 - 31 ، ط. أولى: 1402 هـ/ 1982 م، دار الكتب العلمية، بيروت. وهو يقول ملخصاً لأطروحته ص. 31: {ولعلنا نكون قد أوضحنا في هذا البحث بما فيه الكفاية أنه كان في جميع أطواره (يعني: البيان العربي) وثيق الصلة بالفلسفة اليونانية أولاً وبالبيان اليوناني أخيراً. وإذاً لا يكون أرسطو المعلم الأول للمسلمين في الفلسفة وحدها، ولكنه إلى جانب ذلك معلمهم الأول في علم البيان!!}. قلت: وطه حسين نموذج للفيروس الثقافي على ما بينا في كتابينا: "العبدوية والتحضين الثقافي للفيروسات الثقافية: طه حسين نموذجاً" (لم يطبع بعد، توجد مقتطفات منه على موقعنا) و"كيف تمت هندسة فيروس اسمه أدونيس" (مطبوع) وانظر كذلك: أطروحة الدكتوراه لعباس ارحيلة: "الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري"، لسنة 1991 م ونشرتها جامعة محمد الخامس بالرباط، سنة 1999 م.

وأضرب مثالاً لهذا الخلف بسبب خلفية المترجم، ترجمة "**الإلهيات**" التي هي من صلب الفلسفة الإغريقة والتي لقت هوى لدى المسيحيين لاشتراكهم مع الإغريق في شركهم في تعدد الآلهة، بينما لا يمكن تصور إلهيات سواء لدى المسلمين أو اليهود، لتوحيدهم المطلق في الألوهية والربوبية.

وقد ترجم كتاب: "**الميتافيزيقي**" لأرسطو كل من: البيزنطيين، والهلينيين الإسكندرانيين، واليهود، ونصارى الشرق من نساطرة ويعاقبة وسريان ووجد طريقه إلى العربية عن طريقهم.

وينقسم الكتاب إلى 14 مقالة بحسب الحروف الهجائية اليونانية: (A, a, B, Gamma, Delta,E ,Z.,H ,Theta, I, K, Lamda,M ,N).

ولم يعرف العرب من الكتاب سوى اثنتي عشرة مقالة، حيث افتقدوا المقالتين M, N. وترجموها مرات من السريانية وأخرى من اليونانية. وسوف يعنى المتفلسفة في حاضرة الإسلام بالمقالة الثانية عشرة وهي مقالة "اللام". وقد وجدناهم قد أخذوا بشرح ثاسيطيوس لها، لأنه فتح الباب على مصراعيه أمامهم للتوفيق! بين الفلسفة والدين[14]. وقد عدّوها عمدة الكتاب كله لأنها تنصب على الباري وصفاته.

ومن سوء حظهم أنهم بهذه المقاربة سيخلطون بين ما "**بعد الطبيعة لأرسطو**" وعلم التوحيد ليجعلوهما وكأنهما شيء واحد[15]. بل يمكن اعتبار تحليل الفارابي لموضوع **الألوهية** أساس كل مباحث الإلهيات في المدرسة الفلسفية المعربة[16].

فإذا أخذنا في الاعتبار اعتراف ابن سينا: بأنه قرأ كتاب: "الإلهيات" لأرسطو أكثر من أربعين مرة دون أن يحظى منه بطائل!، إلى أن وقف على رسالتي الفارابي: "كتاب الحروف" وكتاب: "ما بعد الطبيعة والفلسفة العامة" ليحاول على ضوئهما حل مشكلات أرسطو الإلهية.

وإذا ما علمنا أيضاً بأن:

كل النقد الذي وجهه الغزالي للفلاسفة في كتابه: "تهافت الفلاسفة" بخصوص نظرية الصدور وقدم العالم إنما كان بناءا على ما شرح ابن سينا بحسب ما فهم الأخير من فلسفة المعلمين اليونان، أدركنا المأزق الذي وقع فيه المتفلسفة المحسوبين على الإسلام! قبل أن تنحدر منهم إلى المتكلمين المسلمين مفاهيم: الجوهر، والعرض، والمادة، والصورة، والقوة، والفعل، ونظرية العلل، والمبدأ الأول، والصدور، والعناية وملأ بها نظارهم كتبهم!.

---

[14] . أنظر عبد الرحمن بدوي: "أرسطو عند العرب" (1: 19 - 22)، طبعة 1947، القاهرة.

[15] أنظر إبراهيم مذكور في تقديم كتاب: "الإلهيات" من كتاب "الشفا" لابن سينا، ص. 6، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي بمناسبة الذكرى الألفية للرازي.

[16] أنظر: إبراهيم مذكور: "مكانة الفارابي في المدرسة الفلسفية العربية"، ص. 58.

ولو كان المسلمون قد اهتدوا إلى إخراج هذه العلوم من موضوع الفلسفة وأدخلوها بدل ذلك ضمن علوم مباحث القرآن، كما سيحصل في القرن الثامن عشر وما بعده، من خروج هذه العلوم البحتة من تحت مظلة المباحث الفلسفية الواحدة تلو الأخرى، لتستقل بمباحثها وموضوعاتها ومناهجها، دون تدخل من التخرص الفلسفي، لكان لهذه العلوم شأن آخر في حاضرة الإسلام وحاضره ومستقبله.

لكن، وبالرغم من وجود مثل هذه المحاذير، التي عددناها هنا، فقد ظلت الأمور مع ذلك واضحة تمام الوضوح لدى بعض العلماء، خصوصاً الرياضياتيين، والفلكيين، والأطباء، والجغرافيين، والحيّليين (الميكانيكيون)..إلخ.، حين غلبوا منطق التجريب على منطق التأمل السلبي غير المنتج، حال أبي الريحان البيروني **، وابن الشاطر** **، وابن النفيس** **، والحسن بن الهيثم** **، وأبي الوفاء البوزجاني** **،.وغيرهم.**

انتهى ويليه الجزء العاشر:

الشّقشقة العقلانية عند المعتزلة، والشطحات الخرقاء عند المتصوفة، وهوس الأسطرة الخرافية لدى الشيعة.